القائلون بشرعيتها وقال بعضهم السنة ان يسر بها في الصلوة كلها سرها وجهرها وقال بعضهم بل السنة
العكس وهو الجهر بها كذلك وبعضهم فصل فقال يجهر بها في الجهرية ويسر بها في السرية استدل الجميع على
مطلق شرعية قراءتها في الصلوة بحديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في الصلوة بسم
الله الرحمن الرحيم يعدها آية الحمد لله رب العالمين يعدها آية الحديث اخرجه الحاكم وابن خزيمة وعن عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يرتل آية آية
[illegible] وحديث اذا قرأتم بفاتحة الكتاب فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام الكتاب والسبع المثاني
بسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها اخرجه الدارقطني عن ابي هريرة مرفوعا قال الحافظ ابن حجر ورواته ثقات وصحح
غير واحد من الائمة وقفه على رفعه والوقف له حكم الرفع لانه لا مدخل للاجتهاد في عدد آيات القرآن
انتهى وعن جابر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف تقول اذا قمت في صلوتك قال اقول
الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ذكره الطبراني في تخريج البحر غير
معزو الى مخرج وعزاه ابن بهران الى الشفاء واستدل القائلون بالاسرار مطلقا بعدم من ادلة الباقين
بشرعية قراءتها قالوا لان هذه الادلة الدالة على شرعية قراءتها مطلقة فتحمل تلك الادلة الدالة على شرعيتها
على نفي الجهر ويكون قد جمعنا بين الاحاديث ومما يؤيد هذا انه قد جاء في بعض روايات حديث انس
المتقدم بلفظ كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ولابن خزيمة من رواية الحسن عن انس عند ابن خزيمة بلفظ
كانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم فيترجح حينئذ ما قلناه قال شيخنا في حاشيته على شرح الغيث
وقد جمع ابن القيم في الهدي بانه صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر بها تارة ويسر بها اخرى وكان
يسر بها اكثر مما يجهر بها ولا ريب انه لم يكن يجهر بها دائما كل يوم خمس مرات ابدا حضرا وسفرا
ويخفى ذلك على خلفائه الراشدين وجمهور اصحابه واهل بلده هذا من امحل المحال حتى يحتاج الى التشبث فيه
بالفاظ مجملة واحاديث واهية فصحيح تلك الاحاديث غير صريح وصريحها غير صحيح هذا لفظه انتهى
قلت هكذا قال شيخنا لكن كلام ابن القيم في كتاب الصلوة له لا يطابق ما قاله هنا لانه قال في سياق
صفة صلوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لفظه ثم يقرأ فاتحة الكتاب فان كانت الصلوة جهرية
اسمعهم القراءة ولم يسمعهم بسم الله الرحمن الرحيم فربه اعلم هل كان يقرأها ام لا انتهى فهذا
ينافي جزمه في الهدي بقراءتها ولا يتم حسن ما نحى اليه شيخنا من الجمع لانه بناه على ما في الهدي
وقد ناقضه مؤلفه نفسه كما سمعت الان دليل ما قاله في الهدي من ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كان يجهر بها تارة ويسر بها اخرى قد صححه جماعة من فعله صلى الله عليه وآله وسلم بل قال
السيد الحافظ محمد بن ابراهيم الوزير رحمه الله انه قد صنف علماء الاثر في ذلك كتبا كثيرة وادعوا التواتر
في المحاسن وبسط الكلام عليه واطال القول فيه بما لا مزيد عليه في كتابه العواصم فثم حسبه
الجمع الذي ذكره شيخنا كثر الله فوائده ولا انصر ما قصده ابن القيم لكلامه والله اعلم واستدل
القائلون بان السنة الجهر بها في الصلوة كلها بحديث كل صلوة لا يجهر فيها ببسم الله الرحمن الرحيم فهي
آية اختلسها الشيطان ذكره في الشفاء عن جعفر الصادق عن علي عليه السلام مرفوعا وبقول علي كرم الله وجهه
من لم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلوته فقد اخدج صلوته اخرجه الهادي في الاحكام مسندا
وفيه ابن ابي ضميرة ضعيف وذكر المؤيد بالله في التجريد والامير الحسين في الشفاء عن عمار رواه الدارقطني
عن علي عليه السلام وعمار بن ياسر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر في المكتوبات ببسم الله

الرحمن الرحيم

الرحمن الرحيم وروى البيهقي عن ابي هريرة نحوه مرفوعا وحكاه النيسابوري في تفسيره والرازي عن
علي عليه السلام بها في جميع الصلوات وانما وافقوا عموم هذه الاحاديث لا يسع اهماله مع ذلك انه قد قيل
ان ذلك صح من فعل علي عليه السلام وروي عن ابن الزبير وعمر وابن العباس من فعلهم ايضا رواه
البيهقي ونقل عن بعض متأخري ائمة اهل البيت عليهم السلام والله اعلم ولعل ابن القيم اشار الى رد
هذا القول وهذه الادلة بقوله ولا ريب انه لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بها دائما
كل يوم خمس مرات الى اخر كلامه الذي نقله شيخنا عنه كما سبق وربما قيل ولو جهر بها خمس مرات صريح في
عموم الجهر للصلوة كلها والاظهر والله اعلم ضعف هذا القول لضعف دليله اذ العموم غير مسلم
اذ قد صح تخصيصه ببعض الصلوة بما لا يمكن دفعه وفعل علي عليه السلام ومن ذكر معه ان صح فهو
محمول على وقوع ذلك منهم نادرا كالاسماع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسمعهم بعض الآيات
في الصلوة السرية احيانا والله اعلم واما القائلون بالتفصيل فرأوا ادلة الجهر فيها غير مستقيمة
كما بينا في توضيحه في اول المسألة واقوى ما استدلوا وعمدة حديث انس رضي الله عنه المتقدم وعلى
فرض استقامته فقد اختلف رواياته وتحصيلها نفي الجهر بالبسملة فاذا وجدت رواية فيها اثبات
الجهر فقدمت على نفيه الجهر لا المجرد بعدم رواية المثبت على النافي لان من التقييد ان بصحبة انس النبي
صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين وصحبة الخلفاء الثلاثة خمسة وعشرين سنة ولا يسمع احدا منهم يجهر
بالبسملة في صلوة واحدة بل لكون انس اعترف انه لا يحفظ هذا الحكم كأنه لبعد عهده به لم يذكر
منه الا الجزم بالافتتاح بالحمد لله رب العالمين ولم يستحضر الجهر بالبسملة لما روي ان ابا سلمة سأل انسا
عن هذه المسألة فقال انك لتسألني عن شيء لا احفظه ولا سألني عنه احد قبلك فيحتمل رواية قتادة المصرحة
بنفي القراءة بالبسملة على نفي الجهر بها في الصلوة الجهرية وبعض الاخر بعد بدليل من اثبت الجهر في الجهرية
واما قول ابي هريرة وما في بعض روايات حديث انس كانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين فيحمل
على ان المراد كان افتتاحهم بهذه السورة التي هي سورة الفاتحة والبسملة من جملة آياتها كما اخرجه الدار
قطني من حديث امير المؤمنين علي كرم الله وجهه انه سئل عن السبع المثاني فقال هي الحمد لله رب العالمين
فقيل له انما هي ست فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية ورواته ثقات واذا كانت آية من الفاتحة
فلها حكم سائر آياتها من الجهر وغيره وفي قول علي عليه السلام هي الحمد لله الخ دلالة على كون
الفاتحة تسمى بهذه الجملة فيندفع بذلك اعتراض من قال لا يستقيم حمل قول ابي هريرة كانوا يفتتحون
بالحمد لله رب العالمين على الفاتحة لانها انما تسمى بالحمد لا بجملة الحمد لله رب العالمين وقد ورد تسميتها
بهذه الجملة في الحديث الصحيح مرفوعا اخرجه البخاري في صحيحه في فضائل القرآن افاد ذلك
الحافظ ابن حجر نعم هذا الحمل لحديث ابي هريرة وما في بعض روايات انس لا يجري في حديث عبد الله
بن مغفل السابق الذي حسنه الترمذي لكن الحديث نفسه لا يقوم به حجة فقد انكر الحافظ تحسين الترمذي
له ونسبوه الى التساهل وقال ابن حجر المكي وهو تساهل منه بل هو حديث ضعفه الحفاظ كابن خزيمة
وابن عبد البر والخطيب والبيهقي وغيرهم هذا الاخير الابن الناقل عن ابيه انتهى وعلى فرض صحته
فيمكن حمله على نحو ما حمل عليه رواية قتادة لحديث انس كما تقدم قريبا او يقال ان عبد الله بن مغفل
سمع اباه يجهر بالبسملة في صلوة سرية فقال لا تقلها اي جهرا في مثل هذه الصلوة السرية ذكر هذا
الاحتمال الاخير ابن حجر المكي الا انه يبعده قوله في الخبر اذا انت قرأت فقل الحمد لله رب العالمين

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)